



عبد الله مسعود - سورية

الحب والمسعى

الحب: نفحةٌ قدسيّة.. ومضةٌ علويّة.. إشراقةٌ روحيةٌ.

الحب: ترجمانُ الأشواق، وملهمُ الشعراء، مُبدعُ العباقرة، مُذللُ الصُّعاب، جامعُ الأحياب.

الحب: يحلِّو معه مرُّ الصِّبر، ويُطفِّئُ به حرَّ الجمر، ويُسهِّلُ الصَّعبَ مِنَ الأمر.

الحب: الترياقُ مِنَ الشراب، والشفاءُ مِنَ الأوصاب، والراحةُ مِنَ الأنصاب.

الحب: فطرةُ الإنسان، وغريزةُ الحيوان، تهفوُّ له النفوس، وتتطاوَلُ له الأعناق، وتخفقُ به القلوب، وتطربُّ له الأرواح.

الحب: موتٌ أحمرُّ، وذُلُّ أكبرُّ، وتهوُّرٌ أخطرُّ، والعلقمُ الأمرُّ، أهذا هو الحب الذي يقول فيه الشعراء..!

أحرى بهذا القلب أن يخفقا

وفي ضرام الحب أن يحرقا

ما أضيع اليوم الذي مرَّ بي

من غير أن أهوى وأن أعشقا!

أم هو الذي يقولون عنه:

لا دَرَدَرُ الهوى إن لم أمث كمدًا

بحاجرٍ أو بسلعٍ أو بأجبادٍ

هل الحبُّ ذاك المرض، الذي يتمنَّى مَرَضُهُ أن

يزدادوا به ألمًا، وأن يجرعوا كؤُوسَهُ عُلْقَمًا؟!

شربتُ الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ

فَمَا فَنِي الشَّرَابُ وَلَا رَوَيْتُ

هل الحبُّ إرواءُ الغريزة من شهد الشراب، وإطفاءُ

جذوةِ الشهوة من سلسبيل الجسد..؟!

أطفئُ لظى القلب بشهد الرضاب، فإنما الأيام مرُّ

السحاب. فإذا رُوِيَتِ الغريزة، وخبِتِ الجذوة، هُجِرَ

الحبيب وبُعدَ القريب. أم الحبُّ: الصدقُ، والوفاء.. وتجذُرُ

الإخلاص، وتنامي العطاء. الحبُّ المزهر، المورق، المثمر:

وأكملُ حالةِ الإنسان صدقٌ

وأجملُ وصفه حاءٌ وباءٌ

هرولتُ في المسعى.. بين الميلين الأخضرين.

تفتَّتْ في ذهني مسيرةُ حبٍّ بين أنبلِ شخصين:

سَعْيُ الأمِّ الشَّدِيد.. لإنقاذ الوليد.. تكرار الذهاب

والإياب.. نكرانُ الذات، تجاهلُ العذاب.

إنَّه الحبُّ الأكيد.. لإنقاذ الطفل الوحيد.. أسرعتُ

رحمةَ السماء..، فاضَ الخيرُ.. عمَّ العطاء، سقى

العطشى.. أطعمَ الجياع.. انبعثَ النور.. شَعَّ الضياء..

ملأ أرجاء الأرض.. عمَّ أديم السماء.

صارَ السَّعْيُ رَمْزًا للحبِّ، تخليدًا للوفاء.. ما بيِّنَ

الأمَّ الرؤوم.. ومَا يَأْتِي مِنَ الأبناء..

إنَّه الحُبُّ رمزٌ للوفاء، ينبت في الأرض.. يثمر في السماء.. يزداد يوماً بعد يومٍ إشراقاً وعطاءً.. يسمو بهجةً، يشعُّ سناءً.

يُضَاعَفُ حُبُّهُ فِي الْقَلْبِ يَوْماً

فيوماً والمحِبُّ له الهناء

هذا هو الحُبُّ دواً لا يُخَدُّ.. لا ما يدَّعيه رؤاد الغريزة وعُشاق الجسد..

خصامٌ.. شقاقٌ.. فراقٌ للأبد.. تتنامى الشَّحناء، تتأصَّلُ البغضاء، يخبُو الحُبُّ، يموتُ الوفاء.

لَكَ اللَّهُمَّ حُبِّي، وَمِنْكَ وِدَادِي، ولأَصْفِيائِكَ قَلْبِي، وَاخْتِمَ عَلَى ذَلِكَ عَمَلِي، وَفِي رِحَابِ حَبِيبِكَ ﷺ أَجَلِي. ■

الهوامش:

(١) الوليد: إسماعيل عليه السلام، وأبوه إبراهيم عليه السلام.
(٢) هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أول ما جهر بالدعوة على الصفا.

(٣) إشارة إلى الحديث: أنا دعوةُ أبي إبراهيم والآية: ربنا وابتعث فيهم رسولاً منهم ١٢٩- البقرة هو دعوة إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ١٢٩)

(٤) عبدة بن الحارث ابن عم النبي ﷺ أحد المبارزين الثلاثة يوم بدر مع حمزة وعلي رضي الله عنهم، توسَّد رجل النبي ﷺ وقال له أبيات أبي طالب، قبل استشهاده.

(٥) والأبيات هي:

وبالبيت حق البيت في بطن مكة

وبالله إن الله ليس بغافل

كذبتم وبيت الله نبيزي محمداً

ونأ نطاعنُ دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

نناضل: نجادل ونخاصم وندافع. ونبيزي: هو بالياء الموحدة والزاي: نقهر ونغلب. (الزرقاني على المواهب).

فاض الحُبُّ عليّ.. عشت في ذكراه..

أتردُّ بين الصفا والمروة، أشمُّ عبَقَهُ، أنزَرَهُ في رُبَاه.. شاهدتُ الوليد^(١) يافعاً.. وفي رضا أبيه مُسارعاً.. يقدِّمُ روحه قرباناً لأبيه.. لعلَّ هذا الأمرُ يُرضيه.. إنَّه الحُبُّ والحنان، أرضعته الأمُّ مع اللبان.

* * *

سعيُّ السعي الشديد، والخيال يسمو إلى الأفق البعيد..

شع من خلف الخبا نورٌ فاقَ الشمس والشهباء.. صعدتُ إلى الصفا.. فلاح لعيني إمام الحنفا^(٢).

أشرق الحُبُّ من قُودِهِ.. غمرَ الناس برشادِهِ.. قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتُسعدوا في الجنان وتُنجحوا، تآلوا السُودَد والعز وتربحوا،

إنَّه... دعوة الحُبِّ من أبي ذاك الوليد^(٣)، أوركَّت.. أزهرت.. أثمرت.. فاضت بالمزيد.

* * *

سرت بين زمزم والمقام..

تنامى الحُبُّ وانبعث الهيام..

ظهر أَمامي عبيدة بن الحارث^(٤)، صريعاً بعد أن جندل الفوارس..

يتوسَّد رجل الحبيب، يناجيه.. والموت قريب.. يا ليت عمَّك^(٥) الفداء يشهد.. وقوله نُرَدُّ:

وُسِّلِمَه حَتَّى نَصْرَعْ دُونَهُ

ونذهل عن أبنائنا والحلائل.

* * *

ارتسمت صورة أخرى لسعد بن الربيع، وهو في أحد صريع..

مخاطباً قومه بحديث يُعرَف:

لا عذر لكم عند الله وفيكم عين تطرف، إنَّ خَلَصَ لرسول الله مكروه، أو جرح ينزف.

إنَّه الحُبُّ على مرَّ الزمان: صدق.. وفاء.. وفداء..